بشكل روائي او شبه روائي . لكنها لا تقدم الواقع ولا الرواية . تقدم نصا يقع بينهما . فهي ليست الواقع : لان النص ، أي نص ، لا يستطيع ان ينقل الواقع . الواقع مثبت في الذاكرة ، يأخذه النص ويعيد تنظيمه ، يعيد تركيز مفاصله ويقدمه بشكل جديد . وبقدر ما يستطيع النص اكتشاف جدل الواقع الحقيقي ، يقترب منه ويتسمى بالواقعية ، لكنه حتى في هذه الحالة ينتخب من التفاصيل يشذبها ويعيد ربطها بتفاصيل اخرى . هكذا النص هو شكل آخر من الممارسة . يقدم الواقع كي يقدم نفسه . أي انه حين يقدم الواقع، يغلفه ، ويعيد تنظيمه بعناصر جديدة تحيله الى شكل جديد . والمذكرات ليست رواية ، لانها شديدة الالتصاق بحياة كاتبها . انها محاولة اعطاء صورة منتخبة عن حياة فرد وعلاقاته . لكنها لا تنضبط بالبناء الروائي ، فالبناء الروائي هو شكل يضبط اعصارا حياتيا ، يفتح له قنوات يربطها بمجرى واسع هو جسد الرواية. اما في المذكرات ، فنحن امام اعصار دون قنوات . نحن امام حكاية متقطعة ، تروي لتخدم هدفا مباشرا ، اعادة صياغة الماضي من اجل تقديم شهادة . فينحل البناء الروائي امام الشهادة ، ليبقى اعصار الحياة في تفجره وامتلائه ، هذه هي العلامة الوحيدة التي يخرج بها الكاتب والقارىء في الوقت نفسه .

هكذا لا تقدم المذكرات الواقع ، ولا تقدم الفن . تقدم مزيجا منهما ، يتجاوزهما الى لحظة الامتلاء التي تسبق الكتابة الفنية ، الى الاشكال وهي تتكون ، لتنقل من الواقع لحظة توهج فنية ، تلبسه وتعيد صياغة بعض عناصره . فالمذكرات ، هنا هي شهادة . شهادة مرحلة ثقافية وسياسية كاملة ، لكنها شهادة بلا شكل ، لذلك تأخذ شكل الشاعر . تصبح كقصيدة ملحمية طويلة ، بلا اوزان . تترك نفسها لصدفة الخلق ، وتعيد تجميع عناصر الذاكرة الشعرية وكأنها عناصر ملقاة في المكان والزمن . هنا اهمية هذا الكتاب . انه نموذا الشاعر الذي احببنا دون اشكاله ، دون اللباس الذي يضعه الشعراء حاجزا بينهم وبيننا. لكن الشاعر ، لا يستطيع الغاء لغته . فهو لا يعرف نفسه خارجها . لذلك تأتي كتابته على ذاته بلباس شعري ، وتكتب المذكرات بلغة تقترب من لغة القصيدة .

بعد هذا ، لا معنى لنقد شكل الشاعر . فالنقد هو علاقة موضوعية بالاشكال الادبية . انه محاولة لاكتشاف العناصر الداخلية التي للشكل الادبي وربطها بواقعها الايديولوجي والسياسي ، ثم كشف علاقتها باشكال الممارسة الاجتماعية التي تتمثل في الصراع الطبقي . لا تأخذ هذه العلاقة شكلها الفعلي ، الا داخل ممارستها . اي داخل الكتابة النقدية التي تستعيد ماضي العمل الادبي لتكشف حاضر الممارسة الادبية باسرها . لكننا هنا لسنا امام امكانية ممارسة ، فالنص الذي امامنا . هو شكل الشاعر البريء من الاشكال ، الذي يحاول ان يقدم لنا صورته الطفلية ، طفولته حواجزه ، ومشاكله ، دون اي ادعاء مسبق . فتأخذ هذه الصورة ، شكل قصيدة بلا ضوابط ، لان الشاعر يبقى في نهاية المطاف هو القصيدة التي تحاول كتابة نفسها فلا تستطيع .

لذلك نقف على عتبة هذه الحياة البرية المليئة بالازهار والاشواك ، لنستعيد حياة احد كبار شعراء هذا العصر ، الذين كتبوا ملحمة الانسان، نشيدا شاملا ، يستعيد الماضي ، ليضع يده على عتبة المستقبل .

« في بداية تعلمي الكتابة ، شعرت ذات مرة بشعور عارم يغمرني فسطرت بضع كلمات شبه مسجوعة، عجبت لها ومنها فقد كانت مختلفة متميزة عن الحديث اليومي والكلمات الانيقة . اعدت نسخها في خط انيق بعد ان شذبتها ، كنت حينذاك أسير جوى عميق ، سجين شعور ما كنت شعرت به من قبل البتة ... اخذتها الى والدي ، كانا في غرفة الطعام غارقين في حديث من احاديثهم هذه التي كانا يهمسان بها همسا وبصوت خفيض جدا ، احاديث تفصل اكثر من نهر بين عالمين ، عالم الصغار وعالم الكبار . وكان ذاك الحديث على ما يبدو خاصا بعالم الكبار . مددت لهما الورقة ذات السطور ، وكنت ما زلت ارتعد من هول زيارة الوحي الاولى ، تناولها والدي وهو ساه غافل ، فقرأها وهو ساه غافل ، اعادها لي وهو ساه غافل ، ثم قال :

— من أين استنسختها ؟

وتابع حديثه مع امي في صوت خفيض عن شؤونهما العاجلة والاجلة . هكذا ولدت اولى